المبحث الثالث

عثمان بن عفان الخليفة الثالث

● العهد إلى ستة

لم يُوص عمر بن الخطاب لأحد بالخلافة من بعده اتّباعاً لسُنَّة رسول الله ﷺ. وقد طُلب منه وهو على فراش الموت أن يسْتخلف، فقال «أَتَحَمَّلُ أَمْرَكم حَيًّا ومَيِّتًا؟ لَوَدِدْتُ أَنّ حَظّي منها الكَفَافُ، لا عليَّ ولا لي! فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني (يعني أبا بكر)، وإن أتركُكم فقد تركَكم من هو خير مني: رسولُ الله ﷺ».(١)

واجتهد عمر في المسألة، فهداه اجتهاده إلى العهد إلى ستَّة من كبار الصحابة، وقال: «قد رأيتُ من أصحابي حرصًا سيئًا، وإني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستّة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ». (٢) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال لأبيه: «إني سمعتُ الناس يقولون مقالةً، فَآلَيْتُ أن أقولها لكم. زعموا أنك غير مُسْتَخْلف. فوضع (عمر) رأسه ساعة، ثم رفعه فقال: إن الله عز وجل يحفظ دينه. وإنّي إن لا أستحلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف. وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف». قال (ابن عمر): **فوالله ما هو إلاَّ أن ذكر رسولَ الله ﷺ وأبا بكر، فعلمتُ أنه لم يكن يَعْدِلُ برسولَ الله ﷺ أحداً، أنه غير مستخلف».** (٣)

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عها أنها قالت: «ماترك رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي؛ الاستخلاف وتركه؛ جـ١٣ ص ٢٠٤ – ٢٠٥

(٢) الفتح الرباني؛ رقم ٢٠٢ – جـ٢٣ – ص ٩١

(٣) نفسه؛ رقم ٢٠١ جـ٢٣ ص ٩٠ –٩١

ديناراً ولا درهماً ولاشاةً ولا بعيراً ، **ولا أوصى بشيء** » .[١] فلم يوص عمر اتباعاً للنبى ﷺ ، **وهو المتهم من غلاة الشيعة بالتمرد على سنة رسول الله ﷺ !**

وعن المِسْوَر بن مَخْرَمَة قال :« كان عمر بن الخطاب ، وهو صحيح ، يُسأل أن يَسْتَخْلف فَيَأْبَى . فصعد يومًا المنبر فتكلم بكلمات وقال : إن متُّ فَأَمركم إلى هؤلاء السِّتَّة الذين فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ : علي بن أبى طالب ، ونظيره الزبير بن العَّوام ، وعبد الرحمن بن عوف ونظيره عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ونظيره سعد بن مالك . ألا إنِّى أُوصيكم بتقوى الله فى الحكم ، والعدل فى القَسْم » .[٢]

وقد أَوردْتُ وصيته الأخيرة بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى فيما سبق ؛ وليس بين الصيغتين اختلاف إلا فى ترتيب الأسماء الستة فقط . وهذا لا يفيد شيئًا من حيث المضمون .[٣]

● ابن عوف يستشير

وقد اتفق السِّتة على أن يكون لعبد الرحمن بن عوف حق إعلان مَنْ يقع عليه اختيار الأغلبية على أن يتنازل عن حقه فى الترشيح للخلافة : « **فيُذكَر أنه سأل مَن يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا يشير إلاَّ بعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلي : أرأيتَ إن لم أُولِّك ، بمن تشير به عليَّ ؟ قال بعثمان . وقال لعثمان : أرأيتَ إن لم أُولِّك بمن تشير به عليَّ؟ قال : بعلي بن أبى طالب** » . ثم نشط عبد الرحمن بن عوف يستشير الناس فيهما (علي أو عثمان) ، ويجمع رأي المسلمين برأى رؤوس الناس وأقيادهم (قادتهم) ، جميعًا وأشتاتًا ، مثنى ، وفُرادَى ومجتمعين ، سرًا وجهرًا ، حتى خَلُصَ إلى النساء المخدَّرات فى حجابهن ، وحتى سأل الولدان فى المكاتب ، وحتى سأل من يَرِدِ من الركبان والأعراب إلى

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ جـ ٢ ص ٣٧١
(٢) طبقات ابن سعد ؛ ٢ / ٦١٨
(٣) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٧٠٠ - ٧ / ٦١

المدينة ، فى مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان فى تقديم عثمان بن عفان ، إلا ما يُنقل عن عمار بن ياسر والمقداد ، أنهما أشارا بعلي بن أبى طالب ، ثم بايعا مع الناس » .(١)

ولم يقبل « علي » بنتائج استطلاع عبد الرحمن بن عوف ، واتهمه بالتحيز لعثمان لرابطة مصاهرة كانت بينهما .(٢)

وأنا لا أشك فى أمانة عبد الرحمن بن عوف ، وإن لم أُصَدِّق أن الأغلبية « الكاسحة » اختارت عثمان ! ثم ما دخل الصبيان بالخلافة ؟! أجل لقد فاز عثمان ابن عفان حقًا بالأغلبية . والسبب فى اعتقادى هو فرق السِّن ، أو « المشيخة » التى كان لها وزنها الكبير عند عامة العرب قبل الإسلام وبعده . فالرجلان يتساويان فى الصُّحبة والسَّبْق إلى الإسلام . ولقد حزن « علي » لذلك وردَّه إلى تحيز عبد الرحمن بن عوف وإلى ظلم قريش له .(٣) **لكن الجماهير القرشية الغفيرة التى هُرعت إلى بيته لتبايعه بعد مقتل عثمان ، والأعداد الكبيرة من الصحابة الذين قاتلوا معه ضد معاوية ، كل ذلك يثبت براءة عبد الرحمن بن عوف من التحيز ، وينفى ظلم قريش لفتاها البطل ، النبيل ، الشريف ، علي بن أبى طالب** . وما كلمات « علي » هنا إلاَّ تعبير عن شعوره بالصدمة !

ويعزو البعض تقديم عبد الرحمن لعثمان إلى اشتراط علي شرطًا ، وقبول عثمان دون شرط .

● علي يشترط

فقد سأل عبد الرحمن عليًّا وهو على المنبر فقال : هل أنت مُبايعى على كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ وفِعْلِ أبى بكر وعمر ؟ فقال علي : اللهم لا ، ولَكِن عَلَى (قَدْر) جهدى من ذلك وطاقتى ، وسأل عثمان السؤال نفسه فقال : اللهم نعم . فأعلن عبد الرحمن البيعة لعثمان .

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية ؛ ٧ / ١٣٨

(٢) نفسه ؛ ٧ / ١٣٩

(٣) نهج البلاغة ؛ رقم ٢١٥ ص ٢٩٥

والحق أن اشتراط «علي» بدهية إسلامية ؛ وهو – كما يبدو – كان يخشى ألاَّ يَفي بما شرطه عبد الرحمن . وأين ذاك الذى يستطيع الالتزام التام بالكتاب والسُّنة وعمل أبى بكر وعمر ؟! والذى حدث فعلا أن عثمان لم يستطع الوفاء بذلك الشرط ! فقد كان أبو بكر يأْبَى أن يصعد إلى الدرجة العليا من منبر رسول الله ﷺ ، ويتوقف عند الدرجة الأدنى منها . وكان عمر يتوقف عند الدرجة الأدنى من الدرجة التى كان أبو بكر يتوقف عندها . لكن عثمان قال : «إن هذا يطول» . ثم إنه زاد فى الأذان الأول يوم الجمعة قبل الأذان الذى كان يُؤذن به بين يدى رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر» [١] وأنا أقول إن عثمان كان على حق حين وقف على درجة عمر ، لأن النزول عنها كان يعنى الوقوف على الأرض! وزيادة أذان اجتهاد خاطئ منه رضى الله عنه ؛ لكنه ربما رأى فى ذلك مصلحة شرعية ، لا تتعارض مع الشرط الذى قَبِلَه .

ولابد أن نفهم موقف «علي» من شرط عبد الرحمن بن عوف . فقد كان النبى ﷺ يبايع الناس على السمع والطاعة ، ثم يقول :«فيما استطعت» وقال مرة :«فَلْيقلْ أَحَدُنَا : فيما استطعت» [٢] وهكذا نفهم قوله:«اللهم لا ، لكن على جهدى من ذلك وطاقتى» فهو احتراز من عدم القدرة .

ويمكن القول إن التشيع السياسى لعلي بدأ منذ ذلك اليوم الذى اعتلَى فيه عثمان منصب الخلافة ، وهو يوم أول محرم سنة ٢٤ هـ . لكن الاتفاق بين الرجلين ظل غالبًا طوال الأعوام الاثنى عشر – مدة خلافة عثمان – ولم تظهر الشيعة كفرقة فى ذلك الوقت المبكر .

● بوادر التشيع لعلي

يقول ابن تيمية :«إن الشيعة المتقدمين الذين صحبوا عليًّا ، أو كانوا فى ذلك الزمان ، لم يتنازعوا فى تفضيل أبى بكر وعمر ، وإنما كان نزاعهم فى تفضيل علي وعثمان . وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر» [٣]

---

(١) ابن كثير السابق ؛ ٧ / ١٤٠

(٢) الفتح الربانى ؛ الباب السابع فيما جاء فى البيعة – رقم ١٠٩ – ٢٣ / ٤٩ ؛ وفتح البارى ؛ كتاب الأحكام ؛ رقم ٧٢٠٢ – ١٣ / ١٩٣ ؛ موطأ مالك ؛ كتاب البيعة ؛ ص ٦٠٨

(٣) منهاج السنة النبوية ؛ ١ / ٣ – ٤

وقد كانت مناقب عثمان هى التى أَهَّلَتْه عند عمر ليرشحه ضمن السِّتة . وأبرز خصائصه الشخصية الإنفاق السَّخي الباهظ فى سبيل الإسلام . **وقد قال النبى ﷺ يومًا : «مَن جَهَّزَ جيش العُسْرة فَلَهُ الجنة». فجهزه عثمان .** (١) **وجيش العُسرة هو الذى أُنيطَ به غزو تبوك . وتختلف الأخبار حول المبلغ الذى قدمه عثمان ، فيقال إنه أَلْف دينار ، ويقال عشرة آلاف ، وثلاثمائة بعير .** وقال النبى ﷺ يومًا :«مَن يحفر بئر رُومَة فَلَهُ الجنة». فحفرها عثمان .(٢)

وهذا الإنفاق الباذخ فى سبيل الإسلام والمصالح العامة للأمة هو من الخصائص المهمة التى تؤخذ فى الحسبان عند الترشيح لمنصب الخلافة ، وهى التى رجحت ترشيح عثمان عند عمر بن الخطاب ، ورجحت تقديمه لمنصب الخلافة عند من قدَّموه على «عليٍّ» . ولا ريب أن الجهاد بالمال لا يقل عن الجهاد بالنفس . ولم يُعرف عن «عليٍّ» أنه كان ثريًّا قبل أن يُصبح أميراً للمؤمنين ، وإنْ تفوَّق فى ميادين القتال ! ونال عثمان شرف الإصهار إلى النبى ﷺ ، وتزوج من ابنتيه – رقية – التى توفيت يوم بدر – وأم كلثوم ، رضى الله عنهما . وهذا يدل على تقدير النبى لعثمان ، علاوة على أخبار أخرى تؤكد هذا، وتذكر كتب السُّنَّة الصحيحة العديد من مناقب عثمان ، لكنها فى حسبانى لا تحسب فى ميزان الترجيح لمنصب الخلافة .

أصبح عثمان رضى الله عنه خليفة . وكان عليه أن يعلن على الناس المبادئ التى سيسير عليها فى حكمه . وهذا هو ما بدأ به .

● خطبة عثمان الأولى بعد البيعة له

يقول الطبرى رحمه الله :«إنه لما بايع أهل الشورى عثمان ، خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر رسول الله ﷺ ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ ، وقال : إنكم فى دار قُلْعة (أى على رحلة) ، وفى بقية

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ ٣٦٩٥ – ٧ / ٥٢
(٢) نفسه ٧ / ٥٤ – رقم ٣٦٩٥ – ٣٦٩٨
(٣) نفسه ؛ ٧ / ٥٢

أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه . فلقد أُتيتم ، صُبِّحتم أو مُسِّيتم . ألاَ وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يُغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعمروها ومُتِّعوا بها طويلاً ؟ ألمَ تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رَمَى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، وللَّذى هو خير ، فقال عز وجل ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** ﴾ [الكهف : ٤٥] (١)

ثم أقبل الناس يبايعونه

ومن الجلي أن الخليفة الثالث **كان حزينًا ، شديد الكآبة ، لمقتل الخليفة العظيم الذى سبقه - الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهو يشعر** بجسامة المسؤوليات التى عليه أن ينهض بها ، فى دولة واسعة مترامية الأطراف ، لا تزال تتعرض لهجمات الروم وفلول الفرس وانتقاض بعض البلاد فى مصر وإفريقية (تونس) . فلم يكن منصب الخليفة مغنمًا ، يطمع فيه أهل الدنيا وطلاب الثراء والسلطان والشهوات ، بل كان تكليفاً بالجهاد والتضحية والصبر والمصابرة ، والمخاطرة بالحياة . وهذا جثمان الخليفة الثانى فى قبره لم يبرد بعد ، وقد راح شهيداً بيد مجوسى موتور مجرم .

● رعاة لا جباة

وكتب عثمان إلى عماله فى أقاليم الدولة ، والذين يحكمونها باسم الخليفة فقال :« **أما بعد ، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا دعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة . وإن صَدْرَ هذه الأمة خلقوا رُعاة ، ولم يخلقوا جباة** . وَلَيوشِكن ائمتكم أن يصيروا جُباة ولا يكونوا رعاة . فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . **ألاَ وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم**

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ جـ ٤ أخبار سنة ٢٤ هـ ص ٢٤٣ .

فتعطوهم ما لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم ، وتأخذوهم بالذى عليهم ؛ ثم العدو الذى تنتابون ، فاستفتحوا عليهم بالوفاء».

وهذه قواعد دستورية إسلامية تكشف عن رسالة الإسلام السامية . فلم يجاهد المسلمون لفتح ما فتحوا للاستغلال والنهب والسلب والظلم . كلا ، إنهم رُعاة ، لا جباة . همهم الإصلاح والفلاح ، لا جمع الأموال . ثم يحذر الخليفة الثالث عماله من خطورة التحول عن مبادئ الإسلام الرفيعة فينقلبوا إلى جُباة ، فإن ذلك سيجلب ذهاب الحياء والأمانة والوفاء . **ثم يطالبهم بالعدل مع الرعية ، ومع أهل الذمة ، وبالأعداء ، وينصح عماله بأن النصر على الأعداء يتأتى من الوفاء لهم بالعهود .**

● على نهج عمر

ويهدد عثمان أمراء الأجناد الذين يحرسون حدود البلاد ومداخلها ويقول: **«أما بعد فإنكم حُماة المسلمين وذَادتهم . وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان على ملأٍ منا . ولا يبلغنِّى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ! فانظروا كيف تكونون ! فإنى أنظر فيما أَلزمنى اللهُ النظر فيه والقيام عليه».**

وكتب أول كتاب له إلى عمال الخراج فقال :**« أما بعد ، فإن الله خَلَق الخَلْق بالحق . فلا يقبل إلا الحق . خذوا الحق وأعطوا الحق به . والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يسلبها ، فتكونوا شركاء مَنْ بعدكم إلى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء. لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ، فإن الله خَصْم لمن ظلمهم».**(١)

لقد تعهد عثمان بالسير على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ،

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ٢٤ هـ جـ ٤ ص ٢٤٥

وعلى أساس ذلك التعهد قدَّمه عبد الرحمن بن عوف على «عليّ». وتلك تبعة جسيمة ، فكان حقاً عليه أن يكتئب ؛ وها هو يشدد على عماله وقادته باتباع ما كانوا عليه فى عهد عمر ، دون تغيير أو تبديل ، وينذرهم بالعزل إذا غيروا . ويلاحظ أن العزل كان كثيراً فى عهد عثمان ، مع أنه كان لا يعزل إلا عن شكاة أو استعفاء .(١)

● الفتوح فى عهد عثمان

وتواصلت حركة الفتوح فى عهد عثمان . فبعض البلاد التى سبق فتحها فى عهد عمر انتقضت ، فأعاد عثمان فتحها ، كما حدث فى الإسكندرية . وكذلك أعيد فتح أذْربَيجان ، وتوسعت جيوش المسلمين إلى ما وراءها . وفُتحت إفريقية (تونس)، سهلها وجبلها ، واجتمع أهلها على الإسلام وحسنُت طاعتهم. وتم فتح قبرص بقيادة معاوية بن أبى سفيان بأمر عثمان سنة ٢٧ هـ وكان فى الجيش جماعة من أصحاب النبى ، فيهم أبو ذر وعبادة بن الصامت ، وزوجته أم حرام، والمقداد وأبو الدرداء وشداد بن أوس .

وفى سنة ٢٦ هـ زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسَّعه وابتاع من قوم ، وأَبَى آخرون فهدم عليهم بيوتهم ، ووضع أثمانها فى بيت المال ، فصيَّحوا بعثمان، فأمر بحبسهم وقال : أتدرون ما جرَّأكم عليَّ ؟ ما جَرَّأكم عليَّ إلا حلمى ! قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا عليه». ثم أخرجهم من الحبس .

وفى سنة ٢٩ هـ وسَّع عثمان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله. وكانت الحجارة تُحمل من «بطن نخل» . وقد استخدمت الحجارة المنقوشة فى البناء . ووضع الرصاص فى الحجارة التى بنيت منها الأعمدة . وجعل طوله مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين ذراعاً ، وأبقى أبوابه الستة على ما كانت عليه فى عهد عمر .

وهاجمت الروم المسلمين بجموع عظيمة ، فاستغاث معاوية والى الشام

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ٢٤ جـ ٤ ص ٢٥٣

بعثمان فَأَمَدَّه بجند من الكوفة فى ثمانية آلاف ، فانضموا إلى إخوانهم الشاميين ، وهزموا الروم شر هزيمة وملأُوا أيديهم من الغنائم ، وافتتحوا حصوناً كثيرة .

● **الرعية تنتقد الخليفة**

وقد أخذ كثير من أفراد الرعية مآخذ على عثمان وعماله أواخر أيامه .

١- أخذوا عليه أنه أتم الصلاة فى السفر . ورد عليهم شارحًا موقفه فقال إنه قَدِمَ بلداً فيه أهله ، مما يحتم عليه الإتمام اتِّباعًا للسُّنَّة .

٢- وقال نُقاده : حَمَيْتَ حمىً .(أى خصص أراضٍ) . وأنكر ذلك إنكاراً تامًّا .

٣- وقال بعضهم : **كان القرآن كُتبًا فَتَرَكْتَها إلا واحداً . فرد عليهم بقوله** : ألاَ وإن القرآن واحد ، جاء من عند واحد ، وإنه تابع لما أجمع عليه الصحابة وثبت تواتره . وكانت تلك مفخرة لعثمان رضى الله عنه.(١) .

٤- وأخذ عليه البعض أنه أَعاد «الحَكَمَ» (الذى طرده النبى ﷺ) إلى عمله، فقال إن النبى ﷺ هو الذى ردَّه إلى عمله قبل وفاته .

٥- وقالوا : استعملتَ الأحداث ، أى الشباب ؛ فقال إن الرسول ﷺ استعملهم .

٦- وقالوا إنه أعطى ابن أبى سرح جميع ما أفاء الله عليه ، فقال إنه لم يعطه إلا الخمس ، فبلغ مائة ألف .

٧- وقالوا إنه يعطى أهل بيته ، فقال إنه يعطيهم من ماله ، لا من بيت المال .

٨- وأخذوا عليه سوء توزيعه للأراضى ، فبيَّن أنه اتبع الشرع ولم يظلم.(٢)

وكان سوء تصرف عمال عثمان على الأقاليم وعدم استجابته لشكاوى

---

(١) الرد العلمى على هذا الادعاء الخطير سيأتى بعد هذا الفصل مباشرة .

(٢) تاريخ الطبرى ؛ المجلد الرابع ؛ ص ٣٤٦ - ٣٤٨

الرعية وإصراره على إبقائهم هو السبب الرئيسى للثورة . وكانت بطانة عثمان غير مخلصة ، بل فيها عناصر فاسدة مثل «مروان بن الحكم» . ولم يُصْغِ عثمان لنُصح علي بن أبى طالب ، واستجاب لنصح معاوية بن أبى سفيان ! (١)

● حوار علي وعثمان

ويبين الحوار التالى المآخذ التى رآها علىٌّ على تصرفات عثمان :

قال علي : إن عمر بن الخطاب كان كلُّ مَن وَلَّى فإنما يطأ على صماخه! إنْ بَلَغَهُ عنه حرفٌ جَلَبَه ، ثم بلغ به أقصى الغاية ! وأنت لا تفعل . ضعفْتَ ورفقتَ على أقربائك !

قال عثمان : هم أقرباؤك أيضًا .

قال علي : لَعَمْرِى إنَّ رَّحِمَهُم منِّى لقريبة ، ولكن الفضل فى غيرهم !

قال عثمان : هل تعلم أن عمَر وَلَّى معاوية خلافتَّه كلَّها ؟ فَقَدْ وَلَّيتُه !

قال علي : أَنشُدك الله هل تعلم أن معاوية كان أَخْوَفَ مِن عمَر مِن « يَرْفَأ » – غلام عمر منه ؟ !

قال عثمان : نعم .

قال علي : فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس : هذا أمر عثمان ! فَيَبْلُغُك ولا تُغَيِّر على معاوية .(٢)

هذه هى نوعية الأخطاء الكبيرة التى تفاقمت فى نهاية عهد عثمان والتى أدت إلى الثورة عليه وانتهت بقتله ، رضى الله عنه (فى ذى الحجة سنة ٣٥ هـ)

وقد قاد الثائرين : عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر الكندى، وعمر بن الحمق الخزاعى ، ومالك الأشتر ، وحكيم بن جبلة العبدى . وَعَرَضُوا على

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ المجلد الرابع ؛ ص ٣٣٤

(٢) نفسه ؛ ٣٣٨

عثمان : أن يخلع نفسه ، أو يقتصَّ من نفسه ، أو يقتلوه . [1] فرفض عَرْضَهم ، فقتلوه ، رضى الله عنه .

ولما حاصروا عثمان فى بيته بعث إلى «علىّ» ، لكنه لم يجبه ! وَلَمَّا علم علي بقتله قال : «اللهم إنى أَبرأُ إليك من دمه أن أكون قَتَلتُ أو مَالأت على قتله» .[2] لكنه اتُّهم بإيواء قتلة عثمان بعد أن بُويع للخلافة . واعترف بأنه لم ينصره .[3]

● عثمان يجمع القرآن المتواتر فى مصحف واحد

وهذا هو الرد العلمى على قول البعض لعثمان : كان القرآن كتبًا . فتركتها إلا واحداً .

● أبو بكر الصديق يأمر بجمع القرآن :

لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى والقرآن الكريم مُسجل مكتوب كله ؛ لكنه لم يكن مجموعاً لدى أحد ؛ وفى هذا أخرج البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال :« أرسل إلىّ أبو بكر الصديق ، مَقْتَلَ أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : إن عمر أتانى فقال إن القتل قد اسْتَحر يوم اليمامة بقراء القرآن ؛ وإنى أخشى إن استحر القتلُ بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ؛ وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلتُ لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ؛ ورأيتُ ذلك الذى رأى عمر .قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فَتَتَبَّع القرآن فَاجْمَعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن .. فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب ، واللخاف ، وصدور الرجال ؛ حتى وجدتُ آخر سورة التوبة مع

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ٢ / ٦٣٤

(٢) نفسه .

(٣) نهج البلاغة ؛ رقم ٣٠ ص ٥٦

أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره – لكنها كانت محفوظة في المكتوب، وكان زيد يحفظها ، أى أن شرط التواتر كان متوفراً – ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ﴾ [التوبة :١٢٨] حتى خاتمة براءة « فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها ».(١)

ويذكر عبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الخطاب قام فقال : « مَنْ كان تَلَقَّى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن ، فَلْيأت به » . وكان زيد بن ثابت يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، ولا يجمع آية إلا بشهادة شاهديْن . فكان يبالغ فى الاحتياط ، ولا يكتب إلا إذا تطابق المحفوظ والمكتوب كليةً .(٢) وهكذا توقف عن تسجيل آيتيْن من سورة « براءة » وآية من سورة « الأحزاب » إلى أن تطابق المحفوظ والمكتوب ، أو بحسب ألفاظ زيد نفسه : العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال .(٣) وانتهت مهمة « زيد » الكبرى بتشكيل نسخة مكتوبة ، متواترة ، كاملة ، وإيداعها عند الخليفة . وبذلك وُضع حد نهائى للمخاوف من أن يضيع شيء من القرآن الكريم . واستمر هذا الوضع طوال عهدأبى بكر ، وعهد عمر ، وسنوات من عهد عثمان ، رضى الله عنهم ، ولم يستجد شيء إلا فى سنة ٢٤ للهجرةعلى وجه التقريب حين امتدت الدولة الإسلامية إلى أذْرَبيجان وأرمينية .

● عثمان يأمر بنسخ المصحف

بانتشار الإسلام وامتداد دولته إلى العراق والشام ومصر وفارس ، انتشر القراء فى الأقاليم ، يعلِّمون الناس الإسلام ، ويقرئونهم القرآن . وحدث نزاع بين بعض المسلمين حول القراءة الصحيحة ، كما حدث بين « عمر » و « هشام » وتمسك كلٌ منهم بالقراءة التى سمعها وتعلمها .

حدَّث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « إن حُذَيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان ، وكان حُذَيفة يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذْرَبيجان مع أهل العراق

---

(١) فتح الباري ؛ حديث رقم ٤٩٨٦

(٢) فتح الباري شرح الحديث رقم ٤٩٨٨ – جـ ٩ ص ١٣ – ١٥

(٣) قارن الحديث رقم ٤٩٨٨

(سنة ٢٤هـ) ، فَأفْزَع حُذَيفة اختلافُهم فى القراءة . فقال حُذَيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدْرِك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ! فأرْسَلَ عثمان إلى حفصة أن أرْسِلي إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك . فأرسَلتْ بها « حفصة » إلى عثمان ، فأمَرَ زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكْتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا ؛ حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ، ردَّ عثمان الصحف إلى « حفصة » . فأرسَلَ إلى كل أُفق (إقليم) بمصحف مما نسخوا . وأمَرَ بما سواه من « القرآن » فى كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق . »[١] **لأنه عبارة عن قراءات تفتقر إلى التواتر ، فهى ليست قرآنًا .**

وكانت القراءات التى أثارت النزاع من النوع الذى ورد فى سورة الفرقان ؛ وهى اختلافات يسيرة فى القراءات ؛ لكن المسلمين لم يكونوا يطيقونها ، ظنًّا منهم أنها تغيير فى كتاب الله ، أو خطأ ! وربما لم يعرف كثير منهم بإجازة النبى ﷺ لقراءات عديدة . بل إن معلمى القرآن فى المدينة المنورة ذاتها اختلفوا فى القراءات ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم تختلفون عندى ؛ فمَنْ نَأى عنى من الأمصار أشد اختلافا . » [٢]

لذلك كله شكل عثمان لجنة لنسخ المصحف الذى كان قد جُمِعَ فى عهد أبى بكر ، فى صحائف من الجلد . ولم تقتصر اللجنة على الثلاثة المذكورين ، بل ضمَّت ستة آخرين ، لأن المهمة ضخمة ، وهم : أبَى بن كعب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وكثير بن أفلح، ومالك بن أبى عامر ، وعبد الرحمن ابن الحارث.[٣] وانتهت اللجنة بكتابة نسخة كاملة فى هيئة كتاب ضخم أوراقه من الجلد وبعد ذلك تم نسخها وإرسالها إلى الأقاليم .

---

(١) فتح البارى ؛ رقم ٤٩٨٧

(٢) نفسه ؛ رقم ٤٩٨٦ ، ٤٩٨٨

(٣) نفسه ؛ جـ٩ ص ١٨ – ١٩

وهكذا صار بين أيدى المسلمين فى كل إقليم نسخة من المصحف يمكن الرجوع إليها عند اختلاف القراءات . وأعيدت النسخة الأصلية إلى « حفصة » . وأمَّا ما كان بأيدى المعلمين وتلاميذهم من « صحف » مخالفة للصيغة المتواترة المكتوبة فلم تكن تستحق اسم القرآن ؛ وكان لابد من التخلص منها ، منعاً لإدخال قراءات غير متواترة فى القرآن ، فأمر بحرقها .

فالذى أُحرق قراءات غير متواترة ؛ ولذلك لا تسمى قرآنًا .

والحق أن عمل لجنة عثمان لم يكن يبتغى تحريم التعدد فى القراءَات . فذلك أمر أجَازَهُ النبى ﷺ بإذن من ربه سبحانه وتعالى . وكلنا يعلم أن القراءات السبع شرعية ؛ وهى لا تزال موجودة إلى اليوم . ولم يكن لعثمان أو لغيره أن يحرم ما أحل الله ورسوله . ولكن عمل عثمان كان غَرَضه إبْقاء القراءات الشرعية فقط ومنع القراءات الخاطئة غير الشرعية . وكذلك إعطاء الأولوية لقراءة واحدة ، يبدأ بها التلاميذ ، وتستقر على ألْسنتهم ، وتذيع بين العامة ؛ ولا بأس بعد ذلك من دراسة القراءات الأخرى وممارستها على المستوى العلمى الرفيع . فذلك أدْعَى لمنع الاختلافات والمنازعات بين العوام والصبيان والمعلمين ، فى وقت كان المسلمون فيه يقاتلون فى جبهات عديدة ، ويحتاجون إلى الوحدة الصلبة . وهذا هو الوضع الذى نُقل إلينا بالتواتر ، والذى نمارسه اليوم فى كل مكان .

ولقد كان يجب إحراق النسخة الأولى التى كانت لدى « حفصة » ، بعد أن نُسخت ، روجعت حرفاً حرفاً ، واختيرتْ قراءة واحدة لتكون هى الأساس المعتمد فى النسخة الجديدة . لكن عثمان رضى الله عنه بَرَّ بوعده « لحفصة » بإعادة النسخة إليها . ولم يكن ضرر من وجودها لأن أحداً لم يكن يقرأ فيها بعد نشر مصحف عثمان . وقد بقيت إلى العهد الأموى حين أخذها « مروان » أمير المدينة ، بعد وفاة « حفصة » وغسَلَ الكتابة التى كانت على الحجارة والجريد ، وأحرقه .

ومن هذا نرى بوضوح أن كل الجهود منذ بداية الوحى إلى وقت نسخ مصحف عثمان كانت كلها تُبذْل لصيانة القرآن الكريم بحيث لا يضيع منه حرف

ولا يضاف إليه حرف ، امتثالاً لأمر النبى ﷺ : « أمْحضوا كتابَ الله ! . » ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[فصلت : ٤١-٤٢]

فكان جمع القرآن المتواتر فى مصحف واحد من الأعمال المجيدة التى تحتسب لعثمان رضى الله عنه ولجماعة الصحابة العظام الذين قاموا بتلك العملية الخطيرة .

● أنموذج لمفتريات الشيعة على عثمان

هذا هو الخليفة الراشد الثالث رضى الله عنه . وتلك أعماله وإنجازاته الكبيرة . فكيف يتحدث عنه غلاة الشيعة ؟ هل ينقدونه بموضوعية ؟

لا للأسف ؛ إنهم يفترون عليه ما لا يصدقه عقل إلا عقولهم الملتاثة ؟

وهم ينسبون هذه الافتراءات إلى ابن عباس، وهو منها براء، فيقولون : « لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم وآله المدينة أعطى علياً وعثمان أرضاً ، أعلاها لعثمان وأسفلها لعلي رضى الله عنه فقال علي لعثمان : إن أرضى لا تصلح إلا بأرضك فاشْتَر منى أو بِعْنى . فقال له : أبيعك . فاشترى منه علي . فقال له أصحابه : أى شيء صنعتَ ؟ بعْتَ أرضك من علي وأنت لو أمسكت عنه الماء ما انبتت أرضه شيئاً حتى يبيعك بحكمك ؟ قال : فجاء عثمان إلى علي فقال له : لا أجيز البيع . فقال علي له : بعتَ ورضيتَ وليس لك ذلك . قال : فاجعل بيننا وبينك رجلاً . قال علي : النبى صلى الله عليه وسلم وآله . فقال عثمان : هو ابن عمك ! ولكن اجعل بينى وبينك غيره ! فقال علي : لا أحاكمك لغير النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، والنبى شاهد علينا . فَأَبَى ذلك ! فَأنزل الله (تعالى) : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

[النور : ٤٧]

إلى هذا الحد من الإسفاف انحط المؤلف الشيعى ! فالقصة مستحيلة فقهاً، لأن البيع تم ، وبالتراضى، فلا رجوع فيه . فكيف قبل علي الاحتكام فى المسألة؟

وهل يعقل أن يرفض عثمان الاحتكام إلى النبى ؟! هل كان عثمان يخشى حيف النبى لأنه ابن عم علي ؟ ألم يكن النبى صهر عثمان أيضاً ؟ وكيف يؤمن عثمان بنبوة محمد ولا يثق فى عدالته ؟ !

بعد هذا الهراء السخيف يقول المؤلف الشيعى : « فانظروا يا معشر المسلمين إلى رجل لا يرضى بحكومة النبى الذى كان ﷺ مجسمة العدل والإنصاف ! فأين تذهبون يا أهل السنة والجماعة ؟ » (١)

---

(١) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ ٢٤ باب ٦٧ ص ٣٦٣

obeikandl.com